« دفن ورهن جثث الموتى »
(إبان عصر البطالمة)

عاصم احمد حسين

تمدنا المصادر العديدة سواء الوثائقى منها أو الأدبى بأن ظاهرة الدفن كانت سمة تطورت بتطور الحضارات . وأنه منذ العصور القديمة بدأة من العصر الحجرى إلى العصور المتطورة – كانت سمة الدفن ظاهرة مطابقة لفترات الحياة القديمة واستمرارها . وأن تلك الظاهرة ظهرت لدينا من خلال آثار المقابر والمدافن سواء الجماعية منها أو الفردية ، وتطورها إلى شكل فردى تمثل فى شكل القبر بملحقاته المختلفة .

وعلى الرغم من عدم توافر المصادر القديمة نحو ظاهرة الدفن وشعائرها منذ فترات تطور الحضارة بيد أن بعض تلك المصادر ربما قد أسعفتنا ببعض ملامح تلك الشعائر فى الفترات اللاحقة (١) .

ويبدو أن شعائر الدفن فى العالم القديم فى معظمها شبه متقاربة وإن كانت تختلف بحكم اختلاف العادات والتقاليد الخاصة بشعب من الشعوب دون آخر . وربما ذلك ما جعل لتلك الظاهرة خاصيتها فى العالم الاغريقى القديم (٢) .

وتبين لنا شعائر الدفن بوضوح أن القدامى عندما كانوا يدفنون جسداً فى القبر

---

(١) يجب أن نفرق بين ظاهرة دفن الميت والشعائر القائمة على حرق جثث الموتى وهى خارج نطاق البحث .

(2) Cf., Carland (R),- The Greek way of Death, Ed 2., London 1993, pp. 15 ff.

كانوا يعتقدون فى نفس الوقت أنهم يضعون معه روحه [١] . وأنهم كانوا ينادون روح الميت ثلاث مرات بالاسم الذى يحمله ، ويتمنون لها البقاء فى سعادة تحت الثرى « كونى بعافية » ويضيفون « ليكن الثرى خفيفاً عليه » [٢] . وغيرها من العبارات والترانيم النابعة من الأعماق والقلوب الحزينة على وفاة هذا العزيز .

وتمدنا الآثار بكثير من تلك الشواهد الأثرية لظاهرة الدفن منذ أقدم العصور والتى تمثلت فى مراحل تطور الحضارة .

ولا شك أن القدامى وعلى مر العصور كانوا على عقيدة واحدة وفكر متقارب عن تناسخ الأرواح ، كما أنفرد البعض بخاصية البعث والخلود . وقد زاد ذلك فى اعتقادهم بأن الانسان عند موته ودفنه سيستريح فى مثواه الأخير ، فكانوا يدفنون معه كل ما كانوا يعتقدون أنه سيحتاج إليه من ملابس وأسلحة وغير ذلك [٣] . وكانوا يسكبون الخمر على القبر ليرووا عطشه [٤] . كما كانوا يذبحون العبيد والخيول لاعتقادهم بأن هذه

---

(١) يصف لنا « فرجيليوس » الاحتفالات الدينية بمنتهى الدقة والأمانة – ولا أدل على ذلك من ختمه روايته عن جنازة « بوليوروس » بهذه الكلمات « أنا نحبس الروح أيضاً فى القبر »

Cf., Virgilius, Aeneid, III, 67 : (Animaque Sepulcro Condimus);

وقد وجد نفس مدلول هذه العبارة أيضاً عند « أوفيديوس » .

Cf., Ovidius, Fasti, V, 451 : (Tumulo fraternas Condidit umbras) ;

– كما وجد أيضاً مفهوم العبارة عند « بلينيوس الأصغر »

Cf., Plinius, Epistles, VII, 27 : (Manes rita conditi).

(2) Cf., Iliade XXIII, 221; Euripides, Alcestis, 479 :
" κούφα σοι χθὼν ἐπάνωθεν πέσοι ."
Pausanias, II, 7, 2, Ave atque vale; Ovidius, Fasti, IV, 852; Métamorphoses, X, 62 - Sit Tibi terra lesis; tenuem et sine pondere terram; Juvénal, VII, 207; Martial, I, 89; V, 35; IX, 30.

(3) Cf., Euripides, Alcestis, 637, 638; Virgilius, Aen., VI, 221.

(4) Cf., Virgiulius, Aen., V, 76-80.

الكائنات إذا ما حبست بالدفن مع الميت فستقوم بخدمته فى القبر بعد بعثه وحسابه وخلوده(١) .

ومن هذه العقائد جاءت الحاجة إلى الدفن ، فلكى تستقر الروح فى هذا المسكن السفلى الذى يوافقها فى حياتها الأخرى ، كان من الضرورى أن يكون الجسم الذى بقيت مرتبطة به مغطى بالثرى . والروح غير المستقرة التى لا قبر لها ولا مقر ، هى روح هائمة لا تعرف طعم الراحة التى تسعى إليها عبثاً بعد هذا التعب والجهد خلال فترة حياة الميت ، فكانت تهيم فى صورة شبح « Larva » هائم غير مستقر لا يجد القرابين أو الطعام الذى يحتاج إليه ، وبما أنها كانت تعسة فسرعان ما تصبح شريرة تعذب الأحياء وتطلق عليهم الأمراض وتثير الذعر بينهم بظهورها بمظاهر مقبضة منذرة اياهم حتى يمنحوا الدفن لجسدها ، ومن هنا جاء الاعتقاد فى الأشباح (٢) . وعلى ذلك فقد اعتقد جميع أفراد العالم القديم بأن الدفن ضرورى لراحة الروح وأنه بدونه ستصبح هائمة بائسة ، وبالدفن ستصبح سعيدة وأن قيامهم بالاحتفال الجنازى لم يكن لاعلان الألم بل لراحة وسعادة الميت (٣) .

وكانت شعائر دفن الميت لها قدسيتها بصرف النظر عن وضع الجسد فى القبر ، بل كان لابد من مراعاة شعائر تقليدية والنطق بعبارات وصيغ معروفة (٤) . وإلا فإن الميت كان يصبح مصدر خوف وقلق وعذاب لمن أغفلوا ذلك . ولا أدل على ذلك من مثل توسلات

(1) Virgilius, op.cit., X, 519-20.
(2) Cf., Virgilius, Ibid, VI, 371, 379; Herod., V. 92.

(٣) فوستيل دى كولانج – المدينة العتيقة – ترجمة / عباس بيومى (مراجعة / عبد الحميد الداخلى) – القاهرة ١٩٥٠ – ص ١٥ .

(٤) يرى سويتونيوس (Suetonius) أنه لما دفن « كاليجولا » (Caligula) الامبراطور الرومانى – دون الاحتفال بالشعائر الجنازية – فإن روحه بقيت هائمة وأنها ظلت تظهر للأحياء إلى اليوم الذى تقرر فيه أن يخرج الجسد وأن يدفن طبقاً للشعائر والقواعد الجنازية :

- Cf., Suétonius, Caligula, 59 : Satis constat, priusquam id fierct, hortorum custodes umbris inquietatos ... nullam sine aliquo terrore transactam.

« هيكتور » فى الالياذة من قاهره بألا يحرمه من الدفن : « أتوسل إليك بركبتيك ، بحياتك ، بوالديك ، ألا تترك جسمى للكلاب بجوار سفن الاغريق . تقبل الذهب الذى سيمنحه لك والدى بسخه ورد إليه جسدى لكى يؤدى إلى الطروادين والطروادیات نصيبى من تكريم حرق الجثة » [١] وكذلك مواجهة أنتيجونى (Antigone) الموت كى لا يبقى أخوها بلا دفن [٢] . وكذلك فى اللعنات أفظع ما يتمناه المرء لعدوه هو أن يموت بدون دفن [٣] . ولا نتعجب عندما نسمع أن الاثينيين قد قاموا باعدام القواد الذين تهاونوا وأهملوا فى دفن موتاهم بعد انتصار بحرى [٤] .

تأليه الميت :

كانت العقائد القديمة الخاصة بسلوكيات دفن الموتى قد أوجدت كثيراً من الأفكار التى تمثلت فى أغلبها نحو تأليه الموتى – وربما كانت تلك الظاهرة مصاحبة لفترة عصر الأبطال وما بعدهم ، أو كثير من الشخصيات البطولية فى العالم القديم – حيث كانت قد غلبت على العقول فكرة أن الموتى كائنات مقدسة ، وأن كل ميت كان فى فكره إله يبتلهون له ويناجونه تبركاً أو طلباً للنجدة والمساعدة أى حسب اختصاص كل إله ومدى ما يتمتع به من قدرات [٥] . هذا إذا لم يغفل ذكر ظاهرة عبادة الأحياء قبل مماتهم – ولا أدل على ذلك من أن الطبقة الأرستقراطية فى « ساموس » قد عبدت القائد الاسبرطى

(1) Illiad, XXII, 338-44.
(2) Sophoclés. Antigone, 467.
(3) Virgilius, Aen., IV, 620.

(٤) برغم احتمال أن هؤلاء القواد – وهم من تلاميذ الفلاسفة كانت لهم فلسفتهم فى التفريق بين الجسد والروح – إلا أن أهالى الموتى فى أثينا قد لبسوا الحداد وذهبوا إلى المحكمة فى أثينا طالبين الانتقام من هؤلاء القواد – وذلك خوفاً من العذاب الطويل لهم إذا لم يريحوا أرواح موتاهم بالدفن .

Cf., Xenophon, Hellenica, 1, 7.

(٥) راجع « ايسخيلوس » – Aeschylus Αἰσχυλος (حاملات القرابين) ٤٧٥ – « أيها السعداء القاطنون تحت الثرى اسمعوا دعائى ، هلموا إلى نجدة أبنائكم وأمنحوهم النصر » .

– Aeschylus, Bearers, 475.

« لوساندروس – Lysandros » ، كما عبد أفلاطون من بعض تلاميذه ، وعبد « فيليب » المقدونى من بعض رعاياه ، وعبد أهل « سراقوسة » كلٌ من « ديونوسيوس – Dionysios » و « ديون – Dion » [١] ، وما قامت به المدن فى « أيونيا » من رفع بعض الأحياء إلى مصاف الآلهة [٢] . وعبادة الاسكندر الأكبر فى حياته [٣] وفى مماته [٤] وكذلك تأليه بطليموس الأول [٥] وبقية ملوك البطالمة [٦] .

رهن جثث الموتى :

لقد كان القانون فى العالم القديم ينزل بكبار المذنبين عقاباً شديداً اشتهر بفظاعته – وهو الحرمان من الدفن – وهو فى حد ذاته عقاب للروح وعذاب لها فى أن تصبح هائمة دون جسد ، وهو العقاب الذى كان لا يستطيع انسان أن يتحمله دون دفن [٧] .

وربما كان ذلك العقاب (الحرمان من الدفن) قد أثر تأثيراً كبيراً لدى الأحياء ليس بصفة خوفهم من عدم دفن جثثهم بقدر ما كان عبئاً ثقيلاً لدى دفن ذويهم الذين إذا ما حرموا الدفن ، كانوا وبالاً بأرواحهم الشريرة الهائمة التى تنزل العقاب والأمراض والرعب والأذى لدى كفيليهم . وربما استغل القدامى تلك الظاهرة البشعة فى تدمير كثير من علاقاتهم ومعاملاتهم ، وخاصة الاقتصادية التى ألزموها بضمان رهن جثث الموتى (ἡ ὑποθηκη τῶν πτωμάτων) لدى الاحياء من ذويهم لحين

---

(1) Cf., C.A.H., VII, p. 13; Nilson (M.p) A History of Greek Religion, Oxford, 1925, pp. 36, 103, 194.

(2) Cf., Jouguet (P), L'Imperialisme Macedonien et l'Hellenisation de l'Orient, Paris 1926, p. 291.

(٣) راجع ابراهيم نصحى (تاريخ مصر فى عصر البطالمة) الجزء الثانى – القاهرة ، ص ٦٩ وما بعدها .

(4) Cf., Tarn (W), Hellenisitic Civilisation, London 1978, pp. 47 ff; C.A.H., VII, p. 117.

(5) Cf., C.A.H., VII, p. 16.

(٦) راجع ابراهيم نصحى (المرجع السابق) ، جـ ٢ . ص ٧٨ وما بعدها .

(7) Cf., Lysias, Epitaphios, 7-9.

الاستيفاء من الدين [١] .

وتطلعنا المصادر القديمة على كثير من حالات تلك الظاهرة (رهن جثث الموتى) لحين استيفاء حق الدائن . فيحدثنا « هيرودوت » عن شيوع تلك الظاهرة فى مصر . حيث كان يوجد قانون فى عهد الملك « اسيخيس – Asychis » يحق للمدين المصرى بمقتضاه رهن جثة أبيه للحصول على قرض بشرط أنه إذا عجز عن الوفاء بدينه حرم هو نفسه الدفن ، وعلاوة على ذلك فإنه فى أثناء فترة حياته كان محظوراً عليه دفن أى فرد من أفراد أسرته [٢] .

وتلقى وثيقة اغريقية ترجع إلى الفترة الباكرة من حكم البطالمة [٣] – الضوء على نفس تلك الظاهرة (رهن جثث الموتى) – وهى عبرة عن التماس مقدم من سيدة اغريقية تدعى « أرتميسيا – Artemisia – Ἀρτεμίσια »[٤] إلى الإله « أوسيرابيس – Oserapis – Ὀσεράπις » [٥] لينزل نقمته على رجل أنجبت منه ابنة توفيت ورهن جثتها ولم يوف بدينه .

---

(١) هناك كثير من ضمانات تأمين الدين ، راجع ابراهيم نصحى – جـ ٤ . ص ٢٩ وما بعدها .

(2) Cf., Herodotus, II, 136.

(3) Cf., S.B., 5103 = Preisiqke (F). Sammelbuch Griechisher Urkunden aus Ägypten, Strasburg 1915, 5103; U.P.Z., = Wilcken (U), Urkunden der Ptolemaerzeit, Leipzeit 1927, I, pp. 97 ff.

(٤) بردى « أرتميسيا – Artemisia (Curse of Artemisia) دون خلال فترة حكم الاسكندر الأكبر – ويعكس صورة للحياة الاجتماعية والثقافية فى مصر خلال تلك الفترة إبان حكم البطالمة .

– Cf., Bell (H.I), Cults and Creeds in Graeco-Roman Egypt, Liverpool 1954, p. 3.

(٥) كان « أوزيريس » يمثل « أبيس المتوفى » ويدعى (أسار حابى – Asar-Hapi) أو « أوسار حابى – Osar - Hapi » ويدعوه الاغريق « أوسورابيس – Osorapis » و « أوسرابيس – Osarapis » و « سورابيس – Sorapis » و « سارابيس – Sarapis » و « سيربيس – Serapis » .

Cf., Bouché - Leclércq, Histoire des Lagides, I, Paris 1903, pp. 133 ff.

نص الوثيقة :(١)

Ὦ δέσποτ' Ὀσίραπι κα(ὶ) θεοὶ οἱ μετὰ τοῦ Ὀσερ[άπιο]ς κα[θήμενοι, ἱκέτις γίνετ]αι ὑμῖν Ἀρτεμισίη | ἡ Δαμάσιος θυγάτηρ κατὰ τὸ πατρὸς τῆς θυ[γ]ατρός, [ὃς αὐτὴν .....]εων ἀπεστέρησε | καὶ τῆς θήκης. Εἰ μὲν οὖν δίκαιά με ἐποίησε ἐμὲ καὶ τὰ τέκνα ταὐτοσαυτὸ δίκαια, «ὡς» | ὥσπερ μὲν οὖν ἄδικα ἐμὲ καὶ τὰ τέκνα τ(α)ὐτοσαυτὸ ἐποίησεν, δόη δὲ οἱ Ὀσίραπις καὶ οἱ θεοὶ [ⁱ⁴] μὴ τυχεῖν ἐκ παίδων θήκης, [μη]δὲ αὐτὸν γονέας τοὺ(ς) αὐτοσαυτοῦ θάψαι, τῆς δὲ | καταβοιῆς ἐνθ(α)ῦτα κειμένης κακῶς, ἀπολλύοιτο κ' ἐγ γῆι κ' ἐν θαλάσσηι κ' αὐτὸς | καὶ τὰ αὐτοῦ ὑπὸ τοῦ Ὀσερ[άπιο]ς καὶ τῶν [θεῶ]ν τ«ο»ὧν ἐμ Ποσεράπ καθημένων, | μηδὲ [μη]δ(ε)νὸς τυχάνοι [Ὀσ]ε[ράπιο]ς μηδὲ [τ]ῶν θε[ῶν τῶν] μετὰ τοῦ Ὀσεράπιος | κα[θ]ημένων. Κατέθηκεν Ἀρτ[εμισίη]η τὴν ἱκετηρίην [ταύ]την ἱκετ(ε)ύουσα τὸν [ⁱ⁵] Ὀσ[ί]ραπιν τὴν δίκην δικά[σαι καὶ το]ὺς θεοὺς τοὺς μετὰ τοῦ Ὀσεράπιος καθημένους, | τῆ[ς] δ' ἱκετηρίας ἐνθαῦ[τα κειμ]ένης, μηδ(ε)ν[ός κ]ο[τε τῶν θ]ε[ῶ]ν τυχχάνοι | ὁ πατὴρ τῆς παιδίσκης. [Ὅ]ς δ' ἀ[νέλοι] τὰ γράμματα ταῦτα [κα]ὶ ἀδ[ικ]οῖ Ἀρτεμισίην, | ὁ θεὸς αὐτῶι τὴ(ν) δίκην ἐπι[θείη, δυσ]μενή[ς τ' Ὀσέρ]απ[ις εἴη τῶι λαβ]όντι, ὅτι μὴ | τοὺς Ἀρτεμισίη κε[λ](ε)ύει ρτ ..... πε[ ] ὥσπερ [ⁱ⁵] κ' οὐκ ἐπαρκέσαι [ ] | με περιεῖδε, ἐπιδ[εῖ] | κάμοι τῆς ζώσης [ ] | περιεῖδε ἐπιδε[ῖ].

مضمون الترجمة : التماس :

(أيها الإله المعظم « أوسيرابيس » وأيتها الآلهة المتواجدة فى رحاب « أوسيرابيس » أقدم إليكم شكايتى أنا « أرتميسيا » إبنة « أماسيس » ضد والد

---

(١) النص الاغريقى المكتوب (التماس ارتميسيا) يغلب عليه الطابع الأيونى (Ionic) بالنسبة للاسلوب وطابع الحوار – وهو نتيجة للمؤثرات الاغريقية على المنطقة إبان الفتوحات السكندرية ، وكذلك مؤثرات كثير من جماعات الاستيطان وخاصة من المرتزقة الكاريين (من كاريا – Caria) الذين وفدوا إلى مصر منذ عهد (أبسماتيك الأول – Psammetichus, I) واستقروا فى (ممفيس Memphis) وذلك ما درج على تسميته بالطابع الـ « Hellenomemphites » أو « Caromemphites » .

Cf., Bell (H.I), op.cit., p. 4.

ابنتى ، الذى سلبها حقها فى الشعائر الجنازية والدفن . وأنه إذا لم يفعل ما يجب أن يكون تجاهى وتجاه ابنته فإن الإله « أوسيرابيس » والآلهة ستعاقبه بسبب عدم دفنه لابنتى بأن يحرم هو الآخر الدفن من والديه . وأن تلك التهمة المثبوتة هنا ربما ستؤدى إلى هلاكه فى كل من البحر والأرض ، وأن « أوسيرابيس » والآلة التى تتواجد فى محراب (أوسيرابيس) فإنه لن يجد عندها أى رضا . وأن « أرتميسيا » بعرضها التماسها هذا تلتمس من الإله « أوسيرابيس » أن يقضى (يحكم) فى شكايتها (التماسها) وأن ينزل على الأب صنوف العذاب إذا لم يقم بدفن الإبنه) .

ويبدو من هذا النص أن « أرتميسيا - » تعتمد فى التماسها هنا على قانون صريح يحرم الدفن لوفاء الدين - وفى ذلك استناداً إلى ما أورده هيرودوت [1] . وأن فحوى الالتماس يندرج خاصة نحو مضمون رهن الجثة الخاصة بأبنتها دون أن يوفى بدينه [2] .

" Ὃς αὐτήν τῶν κτερέων ἀπεστέρησε καὶ τῆς θήκης "

وتثير تلك الوثيقة كثيراً من التساؤلات المتعلقة بتفاصيل تلك الواقعة - بداية نحو شخصية الرجل الذى قام بسلب جثة إبنة هذه السيدة مقدمة الالتماس وحال دون القيام بالشعائر الجنازية والدفن ، ضماناً لسداد دينه . ولقد تملكتنا الحيرة نحو شخصية هذا الرجل وعلاقته بالسيدة التى لم تذكر بعد تلك العلاقة . وإن كنا نرجح أنه زوجها أو أنها طليقته ، وذلك ما يبرر تصرفه نحو رهن جثة الإبنة (التى هى ابنته) والتى تعطيه هذا الحق الشرعى قانوناً . وأما إذا لم يكن زوجها أو طليقها ، فربما ذلك ما يدفعنا إلى كثير من التساؤلات والحيرة نحو تلك العلاقة . فهل كانت العلاقة بينهما غير شرعية . وهل ذلك يعطى للمرأة الحق فى الانجاب غير الشرعى والمطالبة بحقوقه ، وربما حقوقها هى الأخرى ؟ وإن كان ذلك ما لا يمكننا قبوله . بيد أن كثيراً من الغموض يكتنف هذا الالتماس الذى يوكل كل حقوق الزوجة لانتقام هذا الإله . كما أن وثيقة الالتماس لم تلق مباشرة الضوء نحو مضمون هذا الدين وحجمه وسبب عدم الوفاء به . كما أن كثيراً من الغموض يدور نحو موقف الأب من رهن هذه الجثة وكيفية وامكانية صبغة هذا الفعل

(1) Cf., Herod., II, 136.
(2) Cf., Wilcken (U), U.P.Z., I, pp. 99 ff.

بصبغة شرعية تجاه تسجيله من عدمه . وهل كان هناك قانون صريح يبيح هذا الرهن عرفاً أم قانوناً شرعياً أو وضعياً جاز للمحكمة مقاضاة مخالفيه ؟ .. كثير من التساؤلات لا نستطيع الرد عليها لعدم توافر المصادر . وان كانت هناك تلك الوثيقة النادرة التى نحن هنا بصددها ، والتى يمكن من خلالها وضع احتمالات تصورنا لمضمون تلك الظاهرة :

(أ) أن مضمون تلك الوثيقة يدور حول ظاهرة رهن جثث الموتى التى كانت معروفة منذ القدم فى ظل قانون مكتوب [١] أو قانون عرفى غير مكتوب تحكمه العادات والتقاليد نابع من نفسية الشخص نفسه فى الالتزام ببنوده خوفاً وذعراً من عقاب أرواح هذه الموتى وعبثها على خائنها ، وربما ذلك يتفق مع ما سبق عرضه من خوف الأحياء من عاقبة حرمان دفن الميت ومدى انتقام الأشباح بأرواحها الهائمة من خائنى الدفن . وكذلك عبارات أرتميسيا فى التماسها للآلهة بصب صنوف العذاب على زوجها فى حالة ما أخفق فى دفن ابنته ، بأن الآلهة ستمنع دفنه وكذلك والديه سيمتنعان عن دفنه .

"Οἱ Ὀσέραπις καί οἱ θεοί μή τυχεῖν ἐκ παίδων θήκης, μή δὲ αὐτον γονέας τοὺς αὐτοσαυτοῦ θάψαι."

(ب) أن ظاهرة « رهن جثث الموتى » ἡ ὑποθηκη τῶν πτωμάτων والمتعلقة بحق الدين ، كانت فيما يبدو توثق بشهادة الشهود عرفاً أو شفاهة وبحضور طرفى الالتزام وذلك فى المعاملات الاقتصادية فى أغلب الأحيان ، وربما فى فترات معينة كانت تكتب فى عقود المعاملات الاقتصادية وإن كانت لم تصل إلينا لسوء الحظ [٢] .

(جـ) أن حالات الرهن كانت تتبع فئات قرابة المرهون جثته من كونه أب أو إبن أو إبنة ، أو ربما كان أبعد من ذلك – نحو أحقية رهن الزوج لجثة زوجته أو العكس – إلا إذا كان ذلك مردود لأصل قرابة صلب الأسرة فقط . وذلك ما لا نستطيع الجزم به إلا فى ضوء ما ورد بتلك الوثيقة .

---

(١) طبقاً لما أورده « هيرودوت » راجع :

- Cf., Herodot., II, 136.

(٢) لم نستدل على تلك الظاهرة فى مصر القديمة ، مما يبين أنها ظاهرة مرتبطة بالعادات والتقاليد الاغريقية .

(د) أن نظام الرهن وطريقته لم تكن معروفة بشكل كامل على ما هو معروف الآن أو على الأقل حتى القرن السادس قبل الميلاد . وأن البطالة على الأرجح قد وضعوا تشريعات جديدة لضمان حق كل من المدين والدائن وما يتعلق بها من رهونات حتى وإن وصلت إلى رهن جثث موتى المدين أو جثته هو نفسه .

(هـ) أن رهن جثث الموتى والامتناع عن دفنها – كما هو ظاهر من الوثيقة التى نحن بصددها – تعكس لنا صورة من الوضع العام للعادات والتقاليد والظاهرات الاجتماعية التى كانت سائدة خلال تلك الفترة وقبلها ، خاصة وأن تلك الفترة كانت مرحلة بداية الامتزاج بين العادات المصرية القديمة والعادات الاغريقية .

(و) أنه برغم اعتمادنا الكلى على تلك الوثيقة لعدم توافر مثيلاتها إبان عصر البطالمة . إلا أننا نرجح وجود تلك الظاهرة (رهن جثث الموتى) خلال ذلك العصر ، وأن استمرارها أمر محتمل بسبب وجود الاغريق وممارستهم لعاداتهم وتقاليدهم فى مصر منذ فترة بعيدة ، وهى نفس العادات والتقاليد القديمة الاغريقية التى قمنا باستعراضها من خلال ظاهرة الدفن وأيضاً رهن الجثث استناداً على نص بردية أرتميسيا والمدونة باللغة اليونانية ذات الطابع الأيونى .

(ز) وهناك رأى أخير نغامر بطرحه وهو امكانية رهن جثث الموتى لدى محنطى الجثث لحين وفاء تكاليف دين التحنيط . ويتطلب ذلك عرض نقطة ذات شقين يكاد أحدهما أن يكون مؤكداً بينما نستطيع ترجيح الشق الآخر . أما الشق الأول فهو أن الجثة فى مثل هذا الظرف(رهنها حتى الوفاء بالدين) لابد أنها كانت محنطة وموضوعة فى تابوتها ، إذ أنه ليس من المعقول أن يكون الحديث عن جثة غير محنطة وبالتالى معرضة للتحلل والتعفن . ويؤدى بنا هذا الشق إلى الشق الثانى وهو نوع الدين أو بعبارة أدق الظرف الذى أدى إلى هذا بالمدين إلى الاستدانة . وأقرب الاستنتاجات إلى الترجيح فى هذا المجال هو أن يكون الدين من أجل تغطية إجراءات تحنيط الجثة ذاتها ، ونحن نستطيع أن نستنتج ذلك من الاجراءات المطولة والخطوات العديدة والشعائر التى كانت تتصل بالتحنيط والتى لابد أنها كانت تستدعى تكاليف كثيرة إن لم تكن باهظة (١) .

---

(١) نجيب ميخائيل ابراهيم (مصر والشرق الأدنى القديم) جزء ٤ ، الطبعة الثانية ، صفحات ٤٧٤ – ٤٨٥ .

ومثل هذه المناسبة ذات التكاليف الكثيرة قد تفاجيء المسؤل عن الميت إذا جاءت مفاجئة (وهى فى حالة الابنة الصغيرة تكون مفاجئة أكثر مما فى حال الشخص المسن الذى ينتظرموته ومن ثم يمكن الاستعداد للتكاليف المترتبة على موته وتحنيط جثته) . هذا ومن الجهة الأخرى فإن الدائن يكون واثقاً – على الأقل فى أغلب الأحيان إن لم يكن فى كل الأحيان أنه سيسترد دينه لأن الأب (أو الابن أو غيره) لابد أن يسارع برد الدين لأكثر من سبب . فهناك عاطفته نحو الميت من حيث أنه لا يمكن أن يترك جثته دون دفن ، ثم هناك موقفه فى المجتمع إذا عُرف أنه لم يدفن الجثة . ثم هناك الجانب الدينى وهو خوفه من لعنة الآلهة . ثم هناك أخيراً وليس آخراً القانون الذى أشار إليه « هيرودوت » ، والذى ربما استمر من العصر الفرعونى إلى العصر البطلمى (وبخاصة أن هذه الوثيقة تعود إلى أوائل العصر البطلمى) والذى كان يضع المدين المسؤل عن دفن الجثة فى وضع لا يحسد عليه إذا لم يستكمل مراسم الدفن .

المصادر والمراجع

المصادر

(A)

- Aeschylus, Bearers, 475 (Loeb. Class) Trans. by Herbert Weir Smyth.
- Euripides, Alcestis, 479, 637, 638 (Loeb. Class) Trans., by A.S. Way.
- Herodotus, II, 136 (L.C), Trans. by A.D. Godley.
- Iliad, XXIII, 221. (Loeb. Class), Trans., by A.T. Murray.
- Juvenal, VII, 207, (L.C), Trans. by G.G. Ramsoy.
- Lysias, Epitaphios, 7 - 9 (L.C), Trans. by W.R.M. Lamb.
- Martial, I., 89; V, 35; IX, 30. (Loeb. Class), Trans. by W.C.A. Ker.
- Ovidius, Fasti, IV, 852, (Loeb.Class), Trans. by James G. Frazer;
- Metamorphoses, X, 62 (Loeb. Class), Trans., by Frank J. Miller.
- Pausanias, II, 7, 2; II, 640, III, 68; 97, Trans. by W.H.S. Jones.
- Plinius, Epistles, VII, 27, (L.C), Trans. by Betty Radice.
- Sophoclés. Antigone 467, (Loeb.Class), Trans. by F. Storr.
- Suetonius, Caligula, 59, (L.C), Trans. by J.C. Rolfe.
- Virgilius, Aeneid, VI, 221 (Loeb. Class), Trans., by H.R. Fair-Clough.
- Xenophon, Hellenica, 1, 7 (Loeb.Class), Trans. by C.L. Brownson.

(B)

- C.A.H., = The Cambridge Ancient History, 1923 – 39.
- S.B., = Sammelbuch griechischer Urkunden aus Aegypten - by Preisigke (F) 1915, and Habel (F). Kiessling (E) and Rupprecht (H.A), Vols 1 - 11.
- U.P.Z., = Urkunden der Ptolemaerzeit, Vols 1 - 2 by Wilicken (U), Berlin and Leipzig 1922 – 1927, 1935 – 1957.

المراجع الأجنبية

- Bell (H.I), Cults and Creeds in Graeco – Roman Egypt, Liverpool 1954.
- Bouché – Leclercq, – Histoire de Lagides, Paris 1903.
- Garland (Robert), The Greek way of Death, Ed 2., Lond, 1993.
- Nilson (M.P.), A History of Greek Religion, Oxford 1925.
- Tarn (W), Hellenistic Civilisation, London 1978.
- Jouguet (P), L'imperialisme Macedonien et l'Hellenisation de l'Orient, Paris 1926.

المراجع العربية

- ابراهيم نصحى – تاريخ مصر فى عصر البطالمة – الجزء الثانى – القاهرة ١٩٨١ .
- فوستيل دى كولانج (المدينة العتيقة) ترجمة / عباس بيومى – مراجعة / عبد الحميد الدواخلى – القاهرة ١٩٥٠ .
- نجيب ميخائيل ابراهيم – مصر والشرق الأدنى القديم – الجزء الرابع ، الطبعة الثانية .